رغم الرحيل... نهاد قلعي ما زال حيّاً في الذاكرة والقلوب

شذى حمّود

أقامت «جمعية أصدقاء دمشق»، بالتعاون مع مكتبة الأسد الوطنية مساء أمس، حفلاً تكريمياً للفنان الكبير الراحل نهاد قلعي، بمناسبة مرور 22 سنة على رحيله، وذلك تقديراً لمسيرته الفنية الغنية، ولأعماله التي ساهمت في إرساء دعائم الدراما السورية وانتشارها.

تخلل الاحتفال عرض فيلم وثائقيّ قصير (35 دقيقة) للمخرج مصطفى بروقاي، استعرض أهمّ المنعطفات الفنية في حياة الراحل قلعي، ابتداء من افتتاح التلفزيون العربي السوري وعلاقته به، وصولاً إلى أواخر حياته في المسرح والسينما والأعمال الدرامية التي ألّفها ومثّل فيها مع الفنان الكبير دريد لحام، كـ«صحّ النوم» و«مقالب غوّار» و«حمّام الهنا» وغيرها.

كما تضمّن الفيلم بعضاً من شهادات الفنانين الذين رافقوا الراحل قلعي خلال مسيرته الفنية على مدى سنوات عدّة، مثل الفنان دريد لحام والمخرج خلدون المالح والفنان الراحل ياسين بقوش، وفنان الشعب رفيق سبيعي، الذين تحدّثوا عن علاقاتهم بالفنان الراحل وبداياتهم الفنية المشتركة والصعاب التي كانوا يواجهونها، وكيف بنوا الدراما السورية لبنة لبنة بالدمع والعرق والتعب والاجتهاد.

وأكّد الفنان القدير دريد لحام ضرورة تكريم جيل الروّاد من الفنانين تقديراً لما قدّموه، وليبقوا في الذاكرة. مشيراً إلى أن محبة الناس هي التكريم الأكبر الذي يحصل عليه أيّ فنان، وأن رحيل نهاد قلعي شكّل خسارة نصفه الفنّي لكنه بقي خالداً في ذاكرته وقلبه.

وأضاف لحام أنّ قلعي رحل جسداً وبقيت روحه وإنجازاته وأعماله موجودة في ذاكرتنا وضميرنا ولم تغادرنا. معتبراً أنه لا يمكن لتجربة أيّ فنان مهمّ أن تتكرّر، وإن حاول البعض تقليدها.

وقال الدكتور سامي المبيّض نائب رئيس «جمعية أصدقاء دمشق»، إن الفنانين الكبار هم أيضاً من صنّاع هذا الوطن الذي لم يقتصر فقط على رجال السياسة والثقافة. مشيراً إلى أن نهاد قلعي فتح الباب لوصول الدراما السورية إلى كل أنحاء العالم بمشاركة الفنان دريد لحام وزملائهم من الفنانين الرواد.

وأشار المبيّض إلى أن تكريم الفنانين الكبار يعبر عن الامتنان لهم والتقدير لما قدّموه، وهناك كثيرون ممن يستحقون التكريم. لافتاً إلى أن هناك مشاريع مقبلة للجمعية بتكريم عدد من هؤلاء الفنانين، وهذا التكريم افتتاحية لمشاريع تكريمية أخرى.

أما مخرج الفيلم برقاوي، فقال إن الفنان الكبير نهاد قلعي يستحق الكثير منّا لأنه لم يحصل على التكريم الواجب. مضيفاً أن الإعداد للفيلم تمّ عام 2010 وصُوّر عام 2011، واستغرق العمل فيه مدة شهرين، موضحاً أن عرضه تأجل بسبب الظروف التي يمرّ بها بلدنا طوال السنوات الخمس الأخيرة.

وأضاف برقاوي أن ما عُرض اليوم مقتطفات من الفيلم الذي مدّته نحو ساعة وربع الساعة تقريباً، إنما بسبب ضيق الوقت عُرضت خمس وثلاثين دقيقة من الفيلم، معتبراً أن فيلماً واحداً عن نهاد قلعي غير كاف وأنه جزء بسيط من مسيرة هذا الفنان الكبير الذي كان من أهم أسباب انتشار اللهجة السورية في العالم العربي. مشيراً إلى أنه في صدد إعداد أفلام وثائقية أخرى لفنانين كبار ساهموا في إرساء دعائم الدراما السورية وانتشارها.

بدورها، استعرضت مها قلعي ابنة الراحل في كلمة لها آراء عدد من الفنانين والكتّاب والنقّاد لمسيرة والدها الفنية الحافلة بالإنجازات والأعمال الفنية الخالدة في ذاكرة الناس، موضحة أن كل شخص أحبّه على طريقته.

وفي نهاية الاحتفال، أُعلن عن موافقة مجلس محافظة دمشق على تسمية شارع في منطقة المهاجرين مكان إقامة الراحل نهاد قلعي باسمه، وقدّمت «جمعية أصدقاء دمشق» درعاً تكريمية للفنان الراحل تسلّمته ابنته مها قلعي.

يذكر أن الفنان الراحل نهاد قلعي من مواليد دمشق عام 1928، ممثل وكاتب سوري اشتهر خلال مسيرته الفنية الطويلة بلقب «حسني البورظان». ظهر مع بدايات التلفزيون السوري وعمل في السينما والمسرح والتلفزيون. له عدد من الأفلام السينمائية والأعمال المسرحية والمسلسلات مع الفنان دريد لحام. ألّف عدداً من المسلسلات منها: «صح النوم»، و«حمّام الهنا»، و«مقالب غوّار»، إضافة إلى عدد من التمثيليات على المسرح مثل «مسرح الشوك»، «سهرة مع أبو خليل القباني»، وتوفي في تشرين الأول 1993.

وكانت حياة قلعي الفنان مليئة بالتجارب الزاخرة التي كان أبرزها عمله برفقة الفنان الكبير دريد لحام ضمن أعظم ثنائية فنية عرفها العالم العربي في القرن العشرين، تلك الثنائية التي ما زالت نابضة حيّة تستعاد في كل حين ومناسبة على مدى 16 سنة من العمل المشترك.

«القومي» في لقاء الفنان يوسف الفاضل بملبورن: دور الفنان تجسيد نبض الانتفاض ضد الظلم

نظّمت «مؤسّسة الحوار الإنساني» في مركزها في مدينة ملبورن الأسترالية، لقاءً مع رسام الكاريكاتير الفنان التشكيلي العراقي يوسف الفاضل الموسوي المعروف بيوسف الفاضل، والحائز على ميداليات محلية وعالمية. وقد شارك في اللقاء ناموس المندوبية السياسية للحزب السوري القومي الاجتماعي في أستراليا سايد النكت وعمار اسماعيل وراغدة صليبا.

تميّز اللقاء بحضور نوعيّ لباقة من الفنانين والمخرجين السينمائيين والمسرحيين وعدد من أهل الفكر والثقافة والإعلام، وقد دار حوار بنّاء حول دور الفن في حياة الشعوب، شارك فيه النكت الذي أكد على أهمية دور الفنان في معركة نهوض شعبه وانعتاقه، كما تناول ماهية الكاريكاتير بتجسيده نبض الانتفاض ضدّ الظلم، والملتصق بهموم الناس وآمالهم.

كما أشاد النكت بدور «مؤسّسة الحوار الإنساني» في إعلاء شأن الأنشطة الثقافية المتنوّعة التي تظهر رونق النسيج الاجتماعي لشعبنا في العراق بعمقه الحضاري.

وشارك عمار اسماعيل وراغدة صليبا بمداخلات مفعمة بالقراءات والتحليل لأهمية الفنّ على ضوء رؤية الفكر القومي.

عايدة النجار تُشهِر «لفتا يا أصيلة» في عمّان غوص في وطن محتلّ في عين قرية مقاومة

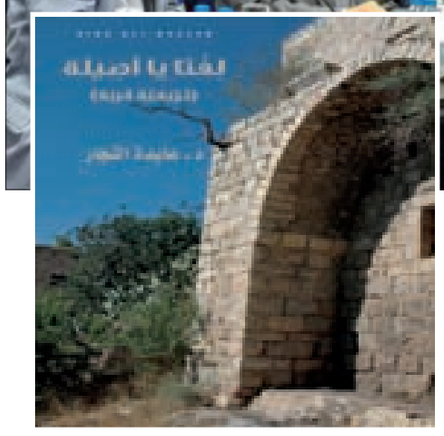

آية الخوالدة

في ظل ما تشهده فلسطين اليوم من حراك وطني في وجه الاحتلال الصهيوني، توثق الكاتبة عايدة النجار سيرة حياة قرية فلسطينية عريقة مليئة بالواقعية والحركة الديناميكية في كتابها الجديد «لفتا يا أصيلة» والذي تم إشهاره في مؤسسة عبد الحميد شومان في العاصمة الأردنية عمّان بحضور عدد كبير من الكتّاب والمهتمين.

الأمسية التي أدارها وزير الثقافة الأسبق عادل الطويسي، بدأ فيها الحديث طاهر المصري الذي تحدث عن الكتاب الذي يغوص في تفاصيل وطن محتل من عين قرية قاومت أن تندثر بفعل الاحتلال.

وأضاف «لم تغفل الكاتبة تفاصيل اختزنتها ذاكرتها للقرية وأهلها وعاداتهم إلا ووثقتها. لقد أرّخت لقرية قاومت همجية المحتل بتغيير ملامح قريتها، وسكان لفتا وحجارتها وعاداتها وتقاليدها في الأعياد والمناسبات. وثقت بعقلية الباحث التعليم والثقافة بدءاً من الكتاتيب إلى المدارس ووقفت عند عدد من خريجي لفتا من الجامعات.

ربطت الكاتبة ما بين لفتا القرية الصغيرة والدور الوطني الكبير الذي قامت به، وكيف ساهمت في تشكيل مجموعات مقاتلة عربية في إطار حركة التحرير الوطني لمواجهة عصابات الصهيونية.

وتمنى الطاهر لو يعاد كتابة ذاكرة الإنسان المكان للقرى والمدن الفلسطينية الأخرى ليعكس واقعها الحالي ومحاولات التشويه التي يقوم بها الاحتلال الإسرائيلي لفصم الإنسان الفلسطيني عن حنينه في المكان، وهي محاولات فاشلة لأن ذاكرتنا حيّة ولو بعد ألف سنة، ستبقى الأرض أرضنا والتاريخ تاريخنا وما هم إلا عابرون.

«لفتا يا أصيلة» هو الكتاب الذي يعتبر الخامس للكاتبة النجار، والتي تفرغت في الآونة الأخيرة لكتابات تمزج فيها الماضي مع الحاضر بأسلوب يراوح ما بين الكتابة التاريخية والكتابة الإبداعية الروائية.

الشهادة الثانية التي تم تقديمها في الأمسية كانت لأستاذ علم الاجتماع والفكر التنموي، سالم ساري متحدثاً عن مشروع عايدة المؤجل الذي طال تأجيله يعطي لعايدة تجدداً فكرياً، ومساهمة متواصلة وقيمة مضافة إلى أعمالها المنجزة الثرية المساهمة في التعريف بالمكان والإنسان الفلسطينيين، في إطار وطني قومي من دون تحيز أو تعصب ومن دون تضخيم للذات أو تبخيس للآخر.

ويتابع ساري: «أرى أن الكاتبة لا تروي عن لفتا خرّيفية سمعتها وترويها الجدات المولعات بالخرايف، يختلط فيها الواقع بالخيال والوهم بالحقيقة. لها بداية ولها نهاية، الجدات اللواتي يبدأن عملهن في خرايف ، تعجّي وترعب، لينام الأطفال بدفء وهدوء ويَنمن هنّ بعد عناء يوم طويل.

قدّم الشهادة الثانية في الكتاب، أستاذ الدراسات العليا في جامعة بيرزيت أحمد عزم الذي يعتبر أن ما تقوم به النجار غير مسبوق، فأدواتها البحثية ترتبط باسمها على نحو فريد، هذا المزج بين الأكاديمي البحثيّ والتاريخ الشفوي والمصادر الالكترونية الحديثة والسيرة الذاتية.

ويؤمن عزم أن أهم ما يقدّمه كتاب النجار انه مادة يبني عليها آخرون أعمالهم البحثية والروائية، ومن هذه الشخصيات التي سيبدي فيها المتخصصين في الدراما والتوثيق اهتماماً كبيرا، نجمة خرّوفة: وهي سيدة من بيت جالا كانت تمتلك محلاً في حارة النصارى القديمة في القدس، متخصصة بالتطريز، تقصدها بنات لفتا وسيداتها بعدما ينتهين من تطريز الثوب بأناملهن، لتقوم بعمل متمم للثوب، مثل ما يسمى التحريرة.

وفي نهاية الأمسية، تحدّثت الكتابة عن مؤلفها الجديد، مبيّنة أن العنوان يلخص ما جاء في المضمون، وهو عن حياة إحدى قرى قضاء القدس المهجرة المدمرة التي يحلم ويعمل أهلها للعودة إليها بعد التهجير القسري والتطهير العرقي لأكثر من خمسمئة قرية عربية فلسطينية على أيدي العصابات الصهيونية عام النكبة 1948.

وعن حكاية «لفتا» تقول النجار: منذ الثلاثينات من القرن العشرين، تطورت لفتا لتصبح إحدى ضواحي القدس الجديدة مع بقاء لفتا العتيقة التي تسمى بـ«الجذر» محافظة على معالمها التاريخية ودورها الحجرية التراثية وحياتها الاجتماعية القروية المنتجة، ما أضاف إلى المكان قيمة إنسانية وجمالية هي دورها الحجرية التي بناها أهلها بسواعدهم القوية.

كانت لفتا تسير بثقة نحو مستقبل واعد، قبل أن تحتلها «إسرائيل» عام 1948 بمساعدة بريطانيا صاحبة الوعد المشؤوم. ففي عام النكبة كانت لفتا من أوليات القرى القريبة من القدس التي دمرتها العصابات الصهيونية وهجّرت أهلها النشيطين لتبني على أراضيها الكنيست ومباني المؤسسات الحكومية الاستعمارية. استبدلت «إسرائيل» سكان لفتا العرب الأصليين بالغرباء في عملية التطهير العرقي التي قامت بها لخمسمئة قرية عربية فلسطينية أخرى ولتصبح مدمرة مهجرة أو «أثراً بعد عين».

أزالت «إسرائيل» دور لفتا ذات الطلة البهية كما المعالم التاريخية مثل معاصر الزيتون والمسجد والمقبرة، ولوّثت «عين لفتا الخضراء الجميلة لتصبح مكاناً لتطهير المرأة اليهودية. قتلت إسرائيل المحتلة المكان وشردت العصافير وقبرت صوت الجدات اللاتي كن يحكين الخرايف للأحفاد».

وقطع الاحتلال التواصل الحميميّ للنساء والرجال الذين كانوا يستيقظون باكراً قبل الندى ليسرحوا إلى الحواكير لسقاية الزرع أو «لبحش» الأرض لزرع الرزق الحلال.

مثل هذه الصورة الحيّة ظلت تدفع أهلها المعمرين وأيضاً «الجيل الجديد» لوصفها «بالعصية على الزوال»، وليرفضوا الاحتلال الذي غيّر اسمها ليصبح إسماً قبيحاً مزوّراً «ميّ نفتوح» بدل« لفتا» الاسم الكنعاني الأصيل.

وعن سرّ كتابتها عن «لفتا» توضح النجار «أكتب اليوم عن لفتا، لا لأنني أحب الأمكنة الجميلة وناسها الذين كتبت عنهم فحسب في كتب سابقة وهي: عمان أيام زمان، والقدس والبنت الشلبية، عزوز يغني للحب وغيرها، بل لأن لها خصوصية القرى الفلسطينية المدمرة والمهجرة لتنوب عن القرى الغائبة وأصالتها إضافة إلى أنها مسقط رأس الأجداد».

حاولت النجار في كتابها استرجاع لفتا جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً وسياسياً، استرجاع قرية قتلها الاحتلال «الإسرائيلي»، وشتّت أهلها في بقاع الأرض، عندما ادّعى أن فلسطين كانت «أرضاً بلا شعب» ليجلب إليها الغرباء بدل أهلها العرب الأصليين. ولم تكتف بذلك، فالعدو اليوم مستمر في قتل جذور الشجر ومحو ما تبقى من معالمها التاريخية الأصيلة لبناء المستوطنات فوق أراضيها التي كانت تلد التين والزيتون والزعتر والميرمية، وتتزين بأزهار اللوز والزوزو والحنون الأحمر وتلبس ثوب الكنعانيات المطرز بالنجوم والقمر.

يأتي كتابي اليوم، و«إسرائيل» تحاول إتمام الجريمة بالتطهير العرقي، وقتل من يحاول الصمود في فلسطين والدفاع عن بيت المقدس والحرم الشريف والأماكن الدينية الإسلامية والمسيحية التي أصبحت هدف «إسرائيل» لتهويد ما تبقى من القرى والمدن الفلسطينية العربية. يصادف إشهار الكتاب اليوم انتفاضة أهلنا تحت الاحتلال من نساء ورجال وأطفال وشيوخ وهم يتصدّون لعدو شرس يواصل قتل الشعب والأرض الفلسطينية المحتلة.

«ديليفري» الكتب... خدمات جديدة في سوق الثقافة العراقية

صفاء ذياب

شارع المتنبي في بغداد

لم يتوقّف تجار السوق العراقية من تقديم أفضل ما لديهم لعرض بضائعهم، مبتكرين بذلك أحدث الطرق للوصول إلى المستهلك وترغيبه؛ في الوقت نفسه، بما يعرضون، مهما كانت تلك البضائع، فضلاً عن إقناعه بشكل أو بآخر بأنه بحاجة ما إلى جعل حياته أفضل مع ما يعرضونه.

لم تشهد السوق العراقية انفتاحاً وتنوعاً في البضائع مثل السنوات العشر الأخيرة، فكل ما يمكن أن يخطر ببال المستهلك موجود، ومن مناشئ لا يمكن أن تعد، إلى درجة أن التجار العراقيين بدأوا بابتكار نماذج مغايرة عما هو موجود في السوق العالمية وتصنيعها حسب طلباتهم في الصين أو الدول ذات التكلفة القليلة الأخرى.

وإذا كان المستهلك العراقي بحاجة إلى المأكل والملبس، فضلاً عن الأجهزة الكهربائية والإلكترونية، فإن هناك مستهلكين بحاجة إلى سوق أخرى وهي سوق الكتاب، فما قبل عام 2003، كان «شارع المتنبي» ومنطقة «باب المعظم» مكاناً لإعادة إنتاج الكتاب، عن طريق جلب نسخة واحدة من كتاب ما من عمّان أو دمشق أو بيروت واستنساخه بتكلفة قليلة مقارنة بسعر النسخة الأصلية وتسويقه من جديد. ومن خلال تجربة بسيطة، فقد قمنا باستنساخ كتابَي «ذهنية التحريم» و«ما بعد ذهنية التحريم» لصادق جلال العظم أكثر من ألف نسخة بيعت كلها خلال أقل من شهر، فضلاً عن كتب نصر حامد أبو زيد وخليل عبد الكريم وغيرها الكثير جداً، إلى درجة أنه في أول معرض كبير للكتاب بعد حصار طويل عام 1998، فوجئت دور النشر العربية بعد زيارتها «شارع المتنبي» أن كتبها تباع بأقل من ربع سعر الغلاف على الأرصفة، وهو ما أدّى إلى تدني مبيعاتهم إلى أقل مستوياتها، بحسب أقوالهم.

الآن، وبعد انفتاح سوق الكتاب، وقيام مكتبات كثيرة باستيراد الكتاب من بيروت ودمشق والقاهرة، أصبحت العناوين موجودة بأسعار يستطيع العراقي تحمل تكاليفها، إلا أن تردّي الوضع الاقتصادي مرة أخرى أدّى إلى تدهور مبيعات الكتب، ما دفع أصحاب المكتبات إلى ابتكار طريقة «الديليفري» لإيصال الكتاب إلى البيوت، أو أماكن العمل في بغداد وبعض المدن العراقية. فما الذي دعا أصحاب هذه المكتبات، إن كان لها مقر أو إلكترونية، لهذا العمل؟ وهل وصل الأمر بالقارئ إلى العجز من البحث عن الكتاب بنفسه، ما أدّى إلى طلبه وهو في البيت من دون عناء؟

حفّارو المكتبات

الكتبي فارس الكامل؛ صاحب «مكتبة المعقدين» في دولة الكويت ومدينة البصرة، يعتقد أن «الديليفري» جاء كعدوى لزيادة التسويق لا أكثر، وهذه العدوى أتت منّا نحن الذين نسكن الخليج. لأن خدمة التوصيل إلى المنازل خدمة قديمة في دول الخليج المجاورة لنا، خصوصاً لنا نحن العراقيين المتواصلين مع دولة الكويت والإمارات وإطلاعهم على هذه الخدمة. «تخيل مثلاً في الكويت توجد حتى خدمة توصيل الشيشة النارجيلة إلى المنازل».

ويضيف الكامل: في الآونة الأخيرة اطلع أصحاب المكتبات العراقية على هذه الخدمة في الإنترنت من خلال مواقع كبيرة مثل «أمازون» أو «نيل وفرات» أو «جملون». أو على تجارب صغيرة مثل، المكتبات الكثيرة المنتشرة في «إنستاغرام». وهناك سبب موضوعي آخر، يتمثل بعدم قدرة بعض الأشخاص، خصوصاً ربّات البيوت على الذهاب إلى أسواق الكتب العراقية، لا سيما «شارع المتنبي» المزدحم نتيجة عارض اجتماعي لا أكثر، فبادرت بعض المكتبات لهذه الخدمة. ولا يعتقد الكامل أن القارئ العراقي الجاد يلجأ لهذه الخدمة، فهو حفار قديم يخرج نوادر الكتب من بين آلاف الكتب التي تعرض كل جمعة في «المتنبي». ولو تشعبت أكثر أجريت إحصاءً لما يتم توصيله إلى المنازل، ستجد أن غالبية هذه الكتب لا يتعدى الروايات أو الكتب الأكثر مبيعاً أو كتب الجوائز، وهي كتب تجارية لا يعول عليها. ويؤكد الكامل أن خدمة توصيل الكتب خدمة حضارية سيرتفع أداؤها مع الوقت، لكن العقبة الوحيدة التي تهددها هي عدم وجود خرائط واضحة وتقسيم معاصر لغالبية المناطق العراقية، كالمنطقة والزقاق ورقم المنزل كما هو موجود في دول العالم جميعاً، «أنا في عملي بتوصيل الكتب في الكويت رفيقي هو الـ GBS وهذه التقنية أعتمد عليها 100 في المئة من دون جهد البحث عن هذا العنوان أو ذاك في أي مكان في الكويت».

أسباب ونتائج

ويشير الكتبي علاء ياسر، صاحب «مكتبة ودار عدنان»، إلى أن هذا نوع من التطور في وسائل المبيعات، فبيع الكتب بـ«الديليفري» موجودة في غالبية دول العالم، إضافة إلى عدة عوامل ساعدت في توفر هذه الخاصية، منها أن غالبية المكتبات تغلق الساعة الثالثة عصراً، فضلاً عن صعوبة الوصول إلى «شارع المتنبي» بسبب غلق الشوارع المحاذية له، وعدم وجود أماكن لوقوف السيارات، الأمر الآخر أن النساء لا يستطعن المجيء إلى «شارع المتنبي» أو «السعدون» بسبب الظروف الأمنية في بغداد أولاً، والازدحام المستمر في هذين الشارعين ثانياً، وتقاليد غالبية العوائل العراقية التي تمنع خروج بناتهن إلى أماكن غير العمل والمراجعات الرسمية والطبية ثالثاً. لذا تجد أن غالبية طلبات الكتب تأتي من قبل النساء اللواتي يخبرننا أنهن لا يستطعن المجيء إلى المكتبات. أما الدارسون والباحثون فيسهّل لهم «الديليفري» وصول الكتب التي يحتاجون إليها، كما أن ضيق الوقت لديهم وارتباطهم بعمل في الصباح دفع الكثير منهم إلى طلب الكتب بـ«الديليفري».

غير أن هناك سبباً آخر، وربما هو الأهم في هذه الخطوة، وهو أن وضع المكتبات ومبيعاتها تدهور خلال السنوات الماضية، بسبب انتشار الكتاب في أماكن عدّة أولاً، والوضع الاقتصادي الذي عاد إلى التدهور مجدداً بعد ارتفاع رواتب الموظفين والعاملين لمدة ليست بالطويلة، غير أن ارتفاع أسعار السوق جعلت من زيادة الرواتب نقمة لا نعمة. وربما قلة الطلب على الكتاب دفع الكثير من الكتبيين إلى إيجاد طرق جديدة لتسويق الكتاب، منها إنشاء معارض كتاب داخل الكليات والمنتديات الثقافية، فضلاً عن تنقلهم بين مدينة وأخرى من أجل الترويج للكتاب. علماً أننا نشهد تراجعاً مخيفاً في الطلب على اقتناء الكتب مقارنة بالسنوات السابقة، لذا نسعى بشتى الطرق إلى ألا تنقرض سوق الكتاب في العراق.

تقليد أعمى

غير أن باسم الياسري، صاحب «دار ضفاف العراقية»، يرى أن الكتاب فقد بريقه القديم وقدرته على التأثير في القارئ، وأصبحت معلومات شاب صغير أفضل من معلومات رجل في الخمسين قبل ثلاثين سنة، بفضل الميديا التي انتشرت، لكن معظمها معلومات سريعة لا رصينة. أما عن خدمة توصيل الكتاب إلى القارئ، فيعتقد الياسري أنها تفقد المتابع لذة الانتفاع بالاطلاع على إصدارات أخرى، وعشاق الكتاب يدركون هذه الحقيقة، غير أن اللجوء إليها ربما له عدة دوافع، منها أن الإقبال على الكتاب انخفض كثيراً، وهذا ما يجعل الناشرين وأصحاب المكتبات يبحثون عن وسائل جديدة، كما أن زحمة المدن، ربما هي الأخرى سبب من أسباب وجود هذه الخدمة، مضيفاً أن هناك الكثير من القراء العرب يعيشون في بلدان ربما لا تهتم بالكتاب العربي، وهم بحاجة إلى من يوصل الكتب إليهم.

من جهة أخرى، يرى الياسري أن محاولة تقليد الغرب أحد أسباب وجود هذه الطريقة، وليس بالضرورة ما ينجح عندهم سينجح عندنا، فهناك الكاتب ربما يعيش حياته من كتاب واحد ينشره. وأغلب الظن أن هذا لن ينجح كثيراً إلا في حالات نادرة، كأن يكون العربي في بلد أجنبي، أو هو مريض أو يسكن أو في منطقة نائية، فمتعة الاطلاع على كل ما هو جديد وتصفح الكتب باليد هو متعة بحد ذاتها، وإن لم تقتن منها شيئاً.

سلعة زهيدة

الكتبي مصطفى غازي فيصل، في أقدم مكتبة في البصرة، وهي «المكتبة الأهلية»، يتحدث عن هذه الخدمة أنها قد تكون جديدة على الشارع الثقافي العراقي، ولكنها معمول بها منذ زمن في جميع دول العالم. مضيفاً أن الظروف التي يمر بها البلد من تدهور في الأوضاع الأمنية، إضافة إلى التدهور الاقتصادي انعكست على مجمل السوق ومنها سوق الكتب. ما حفز المكتبات للسعي غلى إيجاد منفذ تسويقي جديد قديم، كونه جديداً على سوق الكتب العراقية، ولكنه مفعل ومنذ زمن على مستوى دور النشر العالمية والعربية على حدّ سواء.

ويوضح فيصل أنه قبل بضع سنوات راجت ولم تزل الكتب الإلكترونية على الأقراص المدمجة (CD) ، فضلاً عن مواقع المكتبات الإلكترونية، ولكنها لم ولن تلغي دور الكتاب الورقي، على رغم تأثيرها على كمية تصريفه في السوق. واليوم على رغم وجود هذه الخدمة «الديليفري» إلا أنها لا تلغي ولا تغني متعة بحث القارئ بنفسه عن الكتاب في أروقة المكتبات ورفوفها العامرة بشتى العناوين.

غالبية المكتبات في أيامنا هذه لها مواقع إلكترونية وصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي، ما يعزّز فعالية خدمة «الديليفري» من حيث العرض والطلب. إن مجتمعاتنا ذكورية الطابع تحدّد المثقفات والساعيات إلى القراءة بمساحة حرية قد تكون شبه معدومة أو ضيقة للتجوّل في أسواق الكتب والمكتبات، التي توجد في بعض المحافظات العراقية عموماً وفي بغداد خصوصاً كما في «شارع المتنبي»، فهن الأكثر استفادة من هذه الخدمة غير المكلفة فهي لا تتجاوز إضافة مبلغ عن بدل التوصيل على قيمة الكتاب الفعلية. ومع كل ذلك، يبقى الكتاب في العراق من السلع زهيدة الثمن قياساً لقيمته في الدول المجاورة.